الصباح الإسلامية
09
العدد 1652 - السنة السادسة
الاثنين 25 شوال 1434 - الموافق 2 سبتمبر 2013
Monday 2 September 2013 - No.1652 - 6th Year

ما صح وما لم يصح في فضل صيام الشهر

«أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ».صحيح مسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في الشرح الممتع: فمما يسن صيامه شهر المحرم، وهو الذي يلي شهر ذي الحجة، وهو الذي جعله الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول شهور السنة، وصومه أفضل الصيام بعد رمضان.

ما لم يصح في صيام المحرم

روي عن أنس، عن النبي أنه قال: «من صام تسعة أيام من أول المحرم بنى الله له قبة في الهواء ميلا في ميل لها أربعة أبواب». والحديث موضوع

قال ابن الجوزي في الموضوعات: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن حبان: موسى الطويل يروي عن أنس أشياء موضوعة لا يحل كتبها الا على التعجب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي قال: «من صام آخر يوم من ذي الحجة، وأول يوم من المحرم، فقد ختم السنة الماضية، وافتتح السنة المستقبلة بصوم، جعله الله كفارة خمسين سنة». موضوع

في سنده الهروي، ووهب. قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (1/96): رواه ابن ماجة عن ابن عباس مرفوعا وفيه كذابان.

وقال ابن الجوزي في الموضوعات: الهروي هو الجويباري، ووهب، كلاهما كذاب وضاع.

والأحاديث التي صحت في فضل صوم عاشوراء: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا اليَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرَ، يَعْنِي: شَهْرَ رَمَضَانَ». صحيح البخاري، ومعنى «يتحرى»: أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه.فتح الباري.

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». صحيح مسلم.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ بِصَوْمِ عَاشُورَاءَ: يَوْمَ العَاشِرِ». صحيح سنن الترمذي للألباني.

وجاء عن عمر بن صهبان، عن زيد بن أسلم، عن عياض بن عبدالله، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله: «من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه، ومن صام عاشوراء غفر له سنة». صحيح الترغيب.

وفي البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجة من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «قدم النبي المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فانا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه».

قال ابن ناصر الدمشقي في اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم: هذا الحديث فيه فوائد سَنِيَّة وأحكام سُنِيَّة، منها: أن قدوم النبي المشار اليه كان من سفر الهجرة من مكة الشريفة الى المدينة المشرفة.

وظاهر الحديث قبول خبر اليهود مع أنه غير مقبول، فيحتمل والله أعلم أنه أوحي اليه بصدقهم فيما قالوه من نجاة بني اسرائيل من عدوهم في يوم عاشوراء، وصيام موسى عليه الصلاة والسلام ذلك اليوم، أو أن النبي أخبره بذلك من أسلم من علماء اليهود كابن سلام وأمثاله والله تعالى أعلم.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما «فصامه وأمر بصيامه» دليل للامام أبي حنيفة رحمة الله عليه على أن صيام عاشوراء كان واجبا قبل فريضة صوم رمضان.

وحكى القاضي عياض رحمة الله عليه عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون: كان صوم عاشوراء فرضا وهو باق على فرضيته لم ينسخ وانقرض القائلون بهذا، وحصل الاجماع على أنه ليس بفرض وانما هو مستحب، انتهى. انظر شرح النووي على مسلم.

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ اليَهُودُ عِيدًا. قَالَ النَّبِيُّ: «فَصُومُوهُ أَنْتُمْ».صحيح البخاري، ومسلم.

وظاهر هذا أن الباعث على الأمر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه، لأن يوم العيد لا يصام. فتح الباري.

وهذا يدل على النهي عن اتخاذه عيدا. لطائف المعارف:.

ومن السنة صيام التاسع من محرم مع العاشر لقول النبي: «لئن عشت الى قابل لأصومن التاسع».رواه مسلم برقم (1134).

قال بعض أهل العلم: يحتمل أمرين، أحدهما: انه أراد نقل العاشر الى التاسع، والثاني: أراد أن يضيفه اليه في الصوم، فلما توفي قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين. فتح الباري: (4/289).

وقد ذهب بعض أهل العلم الى أن المخالفة تقع بصيام يوم قبله ويوم بعده، واستدلوا بما رُوي عن رسول الله: «صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يوما، وبعده يوما».

وهذا الحديث ضعفه الألباني ضعيف الجامع الصغير وزيادته، (3506). والله تعالى أعلى وأعلم.

وقال الشافعي، وأصحابه، وأحمد، واسحاق، وآخرون رحمهم الله جميعا: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا، لأن النبي صام العاشر، ونوى صيام التاسع. قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر ألا يتشبه باليهود في افراد العاشر. وفي الحديث اشارة الى هذا.شرح صحيح مسلم(4/267-268).

وروي ذلك عن أبي رافع صاحب أبي هريرة.

وروي عن ابن عباس أنه كان يصوم اليومين خوفا أن يفوته، وكان يصومه في السفر، وفعله ابن شهاب، وصام أبو اسحاق عاشوراء ثلاثة أيام يوما قبله ويوما بعده في طريق مكة، وقال انما أصوم قبله وبعده كراهية أن يفوتني، وكذا روي عن ابن عباس أيضا أنه قال صوموا قبله يوما وبعده يوما وخالفوا اليهود. وكره افراد يوم عاشوراء بالصوم لأجل التشبه باليهود وفي البدائع وكره بعضهم افراده بالصوم ولم يكرهه عامتهم لأنه من الأيام الفاضلة، وقال الترمذي باب ما جاء في يوم عاشوراء أي يوم هو، حدثنا هناد وأبو كريب قالا حدثنا وكيع عن حاجب بن عمر عن الحكم بن الأعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت أخبرني عن يوم عاشوراء أي يوم أصومه فقال اذا رأيت هلال المحرم فاعدد ثم أصبح من اليوم التاسع صائما قلت أهكذا كان يصومه محمد قال نعم.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: والصحيح أنه يستحب لمن صامه أن يصوم معه التاسع لان هذا آخر أمر النبي صلى الله عليه وسلم لقوله لئن عشت الى قابل لأصومن التاسع مع العاشر كما جاء ذلك مفسرا في بعض طرق الحديث فهذا الذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما لم يصح في صيام عاشوراء

روي عن هنيدة، عن امراة عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، وأول اثنين من الشهر والخميس». ضعيف.

قال الزيلعي في نصب الراية (2/103): رواه النسائي وهو ضعيف، قال المنذري في مختصره: اختلف فيه على هنيدة فروى كما ذكرنا، وروى عنه عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه عن أبيه عن أم سلمة مختصرا انتهى.

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (4570) وروي عن حفصة رضي الله عنها قالت: «أربع لم يكن يدعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم: صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتان قبل الغداة». رواه أحمد والنسائي. ضعيف.

ضعفه الألباني في الارواء (4/111)، وقال: أخرجه أحمد (6/287) والنسائي (1/328) من طريق أبي اسحاق الاشجعي كوفي عن عمرو بن قيس الملائي عن الحر بن الصباح عن هنيدة بن خالد الخزاعي عنها. قلت: وهذا اسناد ضعيف رجاله ثقات غير أبي اسحاق الاشجعي فهو مجهول على أن الرواة اختلفوا على الحر بن الصباح اختلافا كبيرا في اسناده ومتنه زيادة ونقصا ولذلك قال الحافظ الزيلعي في «نصب الراية»: هو حديث ضعيف.

وجاء عن حبيب بن أبي حبيب، وهو حبيب بن محمد أخبرني أبي حدثني ابراهيم الصائغ، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله: «من صام يوم عاشوراء كتب له عبادة سبعين سنة بصيامها وقيامها». وذكر الحديث. موضوع.

وفي رواية: عن ابراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة سبعين سنة بصيامها وقيامها من صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب حاج ومعتمر ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب سبع سماوات ومن فيها من الملائكة ومن أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكانما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن أشبع جائعا يوم عاشوراء فكانما أطعم فقراء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأشبع بطونهم ومن مسح على رأس يتيم رفعت له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة». موضوع.

وفي رواية: محمد بن عبدالله بن قهزاد عن حبيب عن ابراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن بن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «من صام عاشوراء كتب الله له عبادة سبعين سنة صيامها وقيامها وأعطي ثواب عشرة آلاف ملك وثواب سبع سماوات ومن أفطر عنده مؤمن يوم عاشوراء فكانما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن أشبع جائعا في يوم عاشوراء فكانما أطعم فقراء الأمة ومن مسح رأس يتيم يوم عاشوراء رفعت له بكل شعرة درجة في الجنة وذكر حديثا طويلا موضوعا وفيه أن الله خلق العرش يوم عاشوراء والكرسي يوم عاشوراء والقلم يوم عاشوراء وخلق الجنة يوم عاشوراء واسكن آدم الجنة يوم عاشوراء الى أن قال وولد النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم يوم عاشوراء واستوى الله على العرش يوم عاشوراء ويوم القيامة يوم عاشوراء». موضوع.

قال ابن حجر في لسان الميزان برقم (752): حبيب بن أبي حبي الخرططي المروزي عن ابراهيم الصائغ وغيره وكان يضع الحديث قاله بن حبان وغيره.

وقال الحاكم روي عن أبي حمزة وابراهيم الصائغ أحاديث موضوعة وقال نحوه النقاش وقال بن عدي كان يضع الحديث.

وقال أحمد بن حنبل: حبيب بن أبي حبيب كذاب كذا ذكره بن الجوزي عنه عقب الحديث المذكور في الموضوعات ثم قال بن الجوزي وفي الرواة من يدخل بين حبيب وابراهيم الصائغ أباه قلت وفي الجزء الرابع من فرائد حاجب الطوسي حدثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا حبيب بن محمد ثنا أبي ثنا ابراهيم الصائغ به.

وقال ابن حبان في المجروحين (269): حبيب بن أبي حبيب الخرططي من أهل مرو يروي عن أبي حمزة وابراهيم الصائغ روى عنه أهل مرو كان يضع الحديث على الثقات لا تحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه الا على سبيل القدح فيه.

وروي: «من صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك». موضوع.

ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة برقم (33)، وفي اللآلئ مطولا عن ابن عباس مرفوعا وهو موضوع.

وفي رواية عن عبدالسلام بن أحمد الأنصاري حدثنا أبو الفتح بن أبي الفوارس أنبأنا الحسن بن اسحاق بن زيد المعدل حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب حدثنا محمد بن عبدالله بن قهزاد حدثنا حبيب بن أبي حبيب عن ابراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين ستة بصيامها وقيامها، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف ملك، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب ألف حاج ومعتمر، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة آلاف شهيد، ومن صام يوم عاشوراء كتب الله له أجر سبع سموات، ومن أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكانما أفطر عنده جميع أمة محمد، ومن أشبع جائعا في يوم عاشوراء فكانما أطعم جميع فقراء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأشبع بطونهم ومن مسح على رأس يتيم رفعت له بكل شعرة على رأسه في الجنة درجة، قال فقال عمر يا رسول الله لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء؟ قال: نعم خلق الله عز وجل يوم عاشوراء والأرض كمثله، وخلق الجبال يوم عاشوراء والنجوم كمثله وخلق القلم يوم عاشوراء واللوح كمثله، وخلق جبريل يوم عاشوراء وملائكته يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء وولد ابراهيم يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وفداه الله يوم عاشوراء، وغرق فرعون يوم عاشوراء ورفع ادريس يوم عاشوراء، وولد في يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود في يوم عاشوراء، وأعطى الله الملك لسليمان يوم عاشوراء، وولد النبي صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء، واستوى الرب عز وجل على العرش يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء». موضوع.

قال ابن الجوزي في الموضوعات: هذا حديث موضوع بلا شك.

قال أحمد بن حنبل: كان حبيب بن أبي حبيب يكذب، وقال ابن عدي: كان يضع الحديث، وفي الرواة من يدخل بين حبيب وبين ابراهيم ابله.

أجر المصيبة

وفي المسند عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي انه قال ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وان قدمت فيحدث لها استرجاعا الا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها وهذا من كرامة الله للمؤمنين فان مصيبة الحسين وغيره اذا ذكرت بعد طول العهد فينبغي للمؤمن أن يسترجع فيها كما أمر الله ورسوله ليعطى من الأجر مثل اجر المصاب يوم أصيب بها.

اصبر أبا عبدالله

وخرج الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن عبدالله بن نُجي عن أبيه أنه سار مع علي رضي الله تعالى عنه وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق الى صفين نادى علي رضي الله تعالى عنه: اصبر أبا عبدالله اصبر أبا عبدالله بشط الفرات، قلت: وما ذا؟ قال: دخلت على النبي ذات يوم وعيناه تفيضان فقلت: يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بلى، قام من عندي جبريل قبل فحدثني: «أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال لي: هل لك أن أشمك تربته، قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينيّ أن فاضتا».قال الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة.

> ■ صيام 9 أيام من أول شهر محرم من أعمال الصالحين الذين اشتروا الآخرة بالدنيا

كيف نجى الله موسى ومن معه وأهلك فرعون وجنوده يوم عاشوراء؟

لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم وعنادهم متابعة لملكهم الطاغية فرعون ومخالفة لنبي الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار وحير العقول وهم مع ذلك لا يرعوون ولا ينتهون ولا ينزعون ولا يرجعون.

وتمادى فرعون في سطوته وجبروته وكفره وطغيانه يقتل قومه عن الدين الحق قال الله تعالى مخبرا عن فرعون وكفى بالله شهيدا «وان فرعون لعال في الأرض» أي جبار عنيد مستعل بغير الحق «وانه لمن المسرفين» أي في جميع أموره وشؤونه وأحواله.

ولم يبلغ به الأمر مبلغه حتى اعتبر نفسه الاهاً معبوداً، وهنا لما يبلغ الكفر مبلغه والطغيان منتهاه ويظن الرسل يأتيهم نصر الله، ولقد كانت أول معالم ذلك النصر اجتماع موسى عليه السلام بأتباعه يوصيهم ويثبتهم ويرشدهم، ويربطهم بفاطر الأرض والسماء «يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين» ويأتي الجواب مطمئنا لموسى عليه السلام ممن تربوا في هذه المدرسة النبوية فقالوا «على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين» أمرهم بالتوكل على الله والاستعانة به والالتجاء اليه فأتمروا بذلك فجعل الله لهم مما كانوا فيه فرجا ومخرجا.

ويأتي الثاني من معالم النصر بشرى الله لهم «وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين».

فقد أوحى الله تعالى الى نبيه موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يتخذا لقومهما بيوتا متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة في الرحيل اذا أمروا به ليعرف بعضهم بيوت بعض، وفي هذا العمل تأكيد على مبدأ فعل الأسباب وأنه ينبغي أن يقرن بالتوكل على الله تعالى.

ثم ان الله قد أمرهم «واجعلوا بيوتكم قبلة» قيل مساجد وقيل معناه كثرة الصلاة فيها قاله مجاهد وغيره ومعناه على هذا الاستعانة على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة كما قال تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع للصلاة فالصلاة لها من الآثار الدنيوية والأخروية الشيء الكثير.

وتتوالى الأيام وموسى عليه السلام ومن معه يكسوهم الصبر ويحليهم الايمان بالله والتوكل عليه ويزينهم الصلة بالله والاستعانة بالصلاة، وهناك في الطرف الآخر فرعون ومن معه في غيهم يعمهون وعن الحق معرضين يعاندون ويتمردون.

وتقرب لحظات النصر، «وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم» انه دعاء من قلب صادق متوكل على الله، دعاء لنصرة الحق ودحر الباطل انها دعوة عظيمة دعا بها كليم الله موسى على عدو الله فرعون غضباً لله عليه لتكبره عن اتباع الحق وصده عن سبيل الله ومعاندته وعتوه وتمرده واستمراره على الباطل ومكابرته الحق الواضح الجلي الحسي والمعنوي والبرهان القطعي وتأتي الاجابة من القريب المجيب سبحانه وتعالى «قال قد أجيبت دعوتكما» [والتثنية هنا كما قرر أهل العلم لان هارون عليه السلام كان يؤمّن على دعاء أخيه فاصبح المؤمن بمنزلة الداعي].

«فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون» ويأتي الاذن من الله لموسى عليه السلام ليسير ومن اتبعه الى الشام خارجين من مصر، فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم وشرع في استحثاث جيشه وجمع جنوده ليلحقوا بموسى عليه السلام ومن معه، وأجمل بالقرآن الكريم وهو يصور لنا هذه الأحداث في منظر بديع وتصوير آخاذ قال الله ومن أصدق من الله قيلا: «وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين».

قال علماء التفسير: لما ركب فرعون في جنوده طالباً بني اسرائيل كان في جيش كثيف عرمرم حتى قيل كان في خيوله مائة ألف فحل آدهم وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف وستمائة ألف فالله أعلم.

والمقصود أن فرعون لحقهم بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس، وعاين كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه ولم يبق الا المقاتلة والمجادلة والمحاماة فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون «انا لمدركون» وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم الى البحر فليس لهم طريق ولا محيد الا سلوكه وخوضه وهذا ما لا يستطيعه أحد ولا يقدر عليه والجبال عن يسرتهم وعن أيمانهم وهي شاهقة منيفة وفرعون قد غالقهم وواجههم وعاينوه في جنوده وجيوشه وعدده وهم منه في غاية الخوف والذعر لما قاسوا في سلطانه من الاهانة والمنكر فشكوا الى نبي الله ما هم فيه مما قد شاهدوه وعاينوه فقال لهم الرسول الصادق المصدوق «كلا ان معي ربي سيهدين» «كلا».. يالها من كلمة قوية مدوية، ثبات وثقة بوعد الله وموعوده، حتى في أحلك الظروف ولك أن تتخيل الموقف أكثر، موسى عليه السلام ومن معه محاصرون البحر أمامهم والعدو الحاقد خلفهم، والوقت يمضي والعدو يقرب من منالة.

فلما تفاقم الأمر وضاق الحال واشتد الأمر واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدهم وغضبهم هناك تنزل الوحي على موسى عليه السلام «فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم» نعم لقد تحول البحر الى يابس حوله من يقول للشيء كن فيكون.

فلما آل أمر البحر الى هذه الحال باذن الرب العظيم الشديد المحال أمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني اسرائيل فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين ويهدي قلوب المؤمنين فلما جاوزوه وخرج آخرهم منه وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون اليه ووفودهم عليه فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول اليه ولا سبيل عليه فأمره القدير ذو الجلال أن يترك البحر على هذه الحال «واترك البحر رهوا» أي ساكنا على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة، فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون فرأى ما رأى وعاين ما عاين هاله هذا المنظر العظيم وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك من أن هذا من فعل رب العرش الكريم فاحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم والحالة هذه حيث لا ينفعه الندم لكنه أظهر لجنوده تجلدا وعاملهم معاملة العدا وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فأطاعوه وعلى باطله تابعوه: انظروا كيف انحسر البحر لي لأدرك عبيدي الأبقين من يدي الخارجين عن طاعتي وجعل يوري في نفسه أن يذهب خلفهم ويرجو أن ينجو وهيهات ويقدم تارة ويحجم فلما رآته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين فحصلوا في البحر أجمعين حتى هم أولهم بالخروج منه عند ذلك أمر الله تعالى كليمه فيما أوحاه اليه أن يضرب البحر بعصاه فضربه فارتد عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان قال الله تعالى «وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم» ان في انجاء الله لأوليائه فلم يغرق منهم أحد وأغراقه لأعدائه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله عليه السلام فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة

ولما رأى فرعون الحقيقة وأدركه الغرق «قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين» وهيهات «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» ويأتي الحكم من الله «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون».

وانتهت أحداث ذلك اليوم العظيم - كما سماه رسولنا صلى الله عليه وسلم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه (رواه البخاري).